بين التّفسير والتّأويل والهيرمينوطيقا: دراسة في المصطلح.

Interpretation and explanation of terminology

أ. عقيلة أرزقـــي[1]

تاريخ الإرسال :23-01-2019 تاريخ القبول: 12-03-2019

الملخّص: يعدّ التّفسير والتّأويل من أهمّ القضايا الّتي أسالت حبر الكثيرين قديما، فلا يخفى على الدّارس الجهود الّتي بذلها العرب القدامى – على اختلاف اتجاهاتهم وتباين آرائهم– في إرساء أسس هذين العلمين سيما وأنّهما قد ارتبطا أشدّ الارتباط بالنّص الدّينيّ، ولم يكن ذلك الاهتمام حكرا على القدامى فحسب إذْ نجد الكثير من المحدثين قد أدلوا بدلائهم فيهما بعدما استفادوا من جهود القدامى الّتي تعدّ ضوابط تحدّ حدود هذين العلمين، حتّى أنّ بعضا منهم قد زاد فيهما تأثّرا بالدّراسات اللّغويّة الحديثة ذات الطّابع الفلسفيّ.

ولأهميّة هذا الموضوع جاءت هذه الورقة البحثيّة الموسومة بـ: " **بين التّفسير والتّأويل والهيرمينوطيقا: دراسة في المصطلح**" نبحث من خلالها عن مفهوم مصطلح التّأويل، ومدى قربه وبعده عن مصطلح التّفسير ائتلافا واختلافا، لنكشف العلاقة الجامعة بينهما باعتبار أنّهما يحضران في قراءة أيّ نص كان شرعيّا أم أدبيّا لإظهار جهود القدامى في وضع لبنة علم التّأويل من جهة، ومن جهة أخرى إظهار اختلاف مفهوم التّأويل عند المتقدّمين والمتأخّرين، كما أردنا من خلال هذه الورقة الوقوف على مصطلح آخر برز عند الغرب الذّين تأثّروا بفلسفة

[1] قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة 02، لونيســي عليّ – العفرون – الجزائر، البريد الإلكتروني: univer.blida@gmail.com

التّأويل، الّتي ظهرت بمصطلح **الهيرمنوطيقا**، لذا أخذنا على عاتقنا مهمّة إظهار تقاطع مصطلح التّأويل عند العرب، بمصطلح الهيرموطبقا عند الغرب.

ومن هنا كان لنا هذا التّساؤل: ما الفرق بين التّفسير والتّأويل عند المتقدّمين والمتأخّرين؟، وما علاقة مصطلح التّأويل بمصطلح الهيرمنوطيقا؟

الكلمات المفتاحيّة: التّفسير، والتّأويل، والهيرمنوطيقا.

Abstract :Interpretation and explanation of terminology are considered as being the most important issues that have captured the interests of many people in the past. No one can deny the efforts that Arabs made –despite their different opinions– in order to lay the foundations of these science because they more closely related to the religious text. Many modernists have also shown their interest in these sciences after they benefited from the efforts of the previous scholars which are considered as limits that control these sciences. Some of the scholars have been also influenced by modern linguistic studies of a philosophical nature.

The subject presented in this paper entitled: "Between Interpretation, Explanation of terminology and Herminutica: A Study in the Term" in which we explore the concept of the term "interpretation" and its proximity and distance from

"Explanation of Terminology" or to demonstrate the efforts of the ancient scholars in the construction of the brick of the science of interpretation on the one hand, and on the other to show the difference of the concept of interpretation of the early and the recent scholars , as we wanted through this paper to stand on another term that emerged in the West who were influenced by the philosophy of interpretation, which emerged in the term Hermann A, so we take upon ourselves the task of showing the intersection of the term interpretation of the Arabs, the term Alheirmutbaka in the west.

Hence, we suggested this question: What is the difference between interpretation and interpretation of the early and the late scholars? And what is the relationship of the term interpretation to the term Hermnotika?

Key words: Interpretation ,explanation of terms, Hermnotika.

المقدّمة: أوجب الله سبحانه وتعالى ضرورة تدبّر القرآن الكريم لما تضمّنه من نصوص تحمل أحكاما شرعيّة، لذا وجب إمعان النّظر في إعجازه بألفاظه وتراكيبه للوصول إلى حقيقة دلالاته، وتعرّف على مراميه، والعمل بما جاء فيه من أمر ونهي وغيرهما، ولعلّ أهمّ السّبل لابتغاء ذلك هو التّفسير والتّأويل باعتبارهما فعلا قرائيّا يوصل إلى الفهم والتّدبّر.

ويعدّ التّفسير والتّأويل من أهمّ القضايا الّتي أسالت حبر الكثيرين قديما، فلا يخفى على الدّارس الجهود الّتي بذلها العرب القدامى – على اختلاف اتجاهاتهم وتباين آرائهم– في إرساء أسس هذين العلمين سيما وأنّهما قد ارتبطا أشدّ الارتباط بالقرآن الكريم والحديث الشّريف، ولم يكن ذلك الاهتمام حكرا على القدامى فحسب، إذْ نجد الكثير من المحدثين قد أدلوا بدلائهم فيهما بعدما استفادوا من جهود القدامى الّتي تعدّ ضوابط تحدّ حدود هذين العلمين، ومن المحدثين من زاد فيهما تأثّرا بالدّراسات اللّغويّة الحديثة ذات الطّابع الفلسفيّ.

ولأهميّة هذا الموضوع جاءت هذه الورقة البحثيّة الموسومة بـ: " **بين التّفسير والتّأويل والهيرمنوطيقا: دراسة في المصطلح**" نبحث من خلالها عن مفهوم مصطلح التّأويل، ومدى قربه وبعده عن مصطلح التّفسير ائتلافا واختلافا، لنكشف العلاقة الجامعة بينهما باعتبار أنّهما يحضران في قراءة أيّ نص كان شرعيّا أم أدبيّا لإظهار جهود القدامى في وضع لبنة علم التّأويل من جهة، ومن جهة أخرى إظهار اختلاف مفهوم التّأويل عند المتقدّمين والمتأخّرين، كما أردنا من خلال

هذه الورقة الوقوف على مصطلح آخر برز عند الغرب الذّين تأثّروا بفلسفة التّأويل، الّتي ظهرت بمصطلح **الهيرمنوطيقا**، لذا أخذنا على عاتقنا مهمّة إظهار تقاطع مصطلح التّأويل عند العرب، بمصطلح الهيرموطبقا عند الغرب.

ومن هنا كان لنا هذا التّساؤل: ما الفرق بين التّفسير والتّأويل عند المتقدّمين والمتأخّرين؟، وما علاقة مصطلح التّأويل بمصطلح الهيرمنوطيقا؟

وقبل الولوج في تفاصيل ذلك، كان لزاما عليّ وأنا أطرق هذا الباب المعرفيّ الوقوف على مصطلحات هذا البحث، وهي: **التّفسير، والتّأويل، والهيرمنوطيقا** إبرازا للعلاقة الجامعة بينها.

أوّلا: التّفسير والتّأويل عند المتقدّمين والمتأخّرين.

طغى مفهوما التّفسير والتّأويل على النّصوص القديمة بالدّرجة نفسها، لذا فقد كان ويزال صعبا على العلماء الوصول إلى حدود تفصل التّفسير عن التّأويل، مّما دفع ابن حبيب النّيسابوري إلى القول: "نبغ في زماننا مفسّرون لو سئلوا عن الفرق بين التّفسير والتّأويل لما اهتدوا إليه"[1].

لذا أثار العلماء الجدل حول المصطلحين بيانا للفروق بينهما، فقد تعدّدتِ الآراء بين من يجعل التّفسير مرادفا للتّأويل، وبين من يجعل التّفسير مختلفا عنِ التّأويل، وقبل عرض تلك الآراء المختلفة، ومنطلقات ذلك الاختلاف للترجيح بينها وجب بدايّة الوقوف على الدّلالة اللّغويّة والاصطلاحيّة للتّفسير والتّأويل، وهذا بيانه:

يرجع الجذر اللّغويّ لكلمة التّفسير إلى مادّة (ف س ر) الّتي تعني البيان والوضوح، جاء في لسان العرب "فَسَر الشّيءَ يفسِرُه بالكَسر وتَفْسُرُه بالضم فَسْراً

وفَسَّرَهُ أَبانه، والتّفسير مثله...، واسْتَفْسَرْتُه كذا أَي سأَلته"[2]، وجاء في المفردات أنّه قيل: "لما ينبئ عنه البول تفسرة"[3]؛ لأنّ الأطباء يستدلون به للكشف عن المرض الموجود في الجسم، والتّفسير البيان، قال ابن فارس (ت395هـ): " الفاء والسّين والرّاء كلمة واحدة تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه"[4]، وتفسير الكلام "كشف المُغَطّى"[5]؛ أي بيان معناه وتوضيحه بإزالة إبهامه، وكشف مراده.

وتشترك كلمة (فسر) في معنى الكشف والبيان مع كلمة (سفر)المقلوبة عنها، فيقال: "سَفَرتِ المرأةُ عن وجهها، إذا كشفَتْهُ. وأسفر الصبح، وذلك انكشاف الظّلام[6].

وعليه فإنّ مادّة (ف س ر) تدور معناها اللّغوي حول الكشف، والإيضاح، والبيان، والإظهار.

أمّا الكلمة التّفسير في الاصطلاح فهي مرتبطة – كما أشرنا سابقا – بتفسير القرآن الكريم، وللمفسّرين عدّة أقوال في تعريفه نقتصر على بعضها.

فقد عرّفه الزّركشي (ت794هـ) بقوله: " علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللّغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ"[7].

والنّاظر في التّعريف السّابق يرى أنّ صاحبه قد أدرج علم التّفسير من جملة علوم القرآن، ولعلّ السّبب في ذلك راجع إلى اعتماد المفسّر اعتمادا كبيرا على تلك العلوم، وإن كان السّلف يعدّ التّفسير علما جامعا لكلّ العلوم، فقد قال ابن مسعود: "من أراد العلم فلبثوّر القرآن"[8]؛ أي يفكّر في معانيه ويفسّر قراءاته.

ونجد صاحب الكليات يعرّفه قائلا: "علم يبحث فيه عن كيفيّة النّطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفراديّة والتركيبيّة ومعانيها التّركيبيّة، وتفسير الشّيء لاحق به ومتمم له وجار مجرى بعض أجزائه، قال أهل البيان: التّفسير هو أن يكون في الكلام لبس وخفاء فيؤتى بما يزيله ويفسره"[9].

وانطلاقا من هذا التّعريف يظهر أنّه يركّز على مباحث علم التّفسير ومنابعه أكثر من تركيزه على حقيقة مفهوم التّفسير بيانا لطبيعته الكاشفة عن المراد، وقد اقترب ابن الجزري(ت741هـ) من مفهوم التّفسير فقد قال: " ومعنى التّفسير شرح القرآن، وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصّه أو إشارته أو نجواه"[10].

ولعلّ أدقّ تعريف للتّفسير ما أورده الطّاهر بن عاشور (ت1393هـ) في مقدّمة كتابه؛ حيث قال: " هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع...، وموضوع التّفسير: ألفاظ القرآن من حيث البحث عن معانيه، وما يستنبط منه"[11].

وعليه فإنّ الدّلالة الاصطلاحيّة للتّفسير تتّفق والدّلالة اللّغويّة، فهي تدور حول معنى الكشف والاستبانة والإيضاح، فالتّفسير علم يوضّح كلام الله ويكشف مراده.

أمّا التّأويل فهو من الفعل الرّباعيّ (أَوَّلَ) يُوِّلُ تَأْوِيلاً على زنة (تَفْعِيل)، وجذره الثّلاثيّ (أَوْلْ) الذي تحمل معنى "ابتداء الأمر وانتهاؤه"[12]، ومنه قولهم: آل الأمر؛ أي رجع، ومنه "الإيالة؛ أي السّياسة"[13]؛ لأنّ الرّعيّة ترجع الأمور وتعيدها إلى راعيها، ويقال: أُلْتُ الشّيءَ أَؤُوله إذا جمعته وأَصلحته، لذا كان "التَّأْويل جمع معاني أَلفاظ أَشكَلَت بلفظ واضح لا إشكال فيه"[14].

وعليه يكون معنى (أول) الرّجوع والانتهاء، أمّا اصطلاحا فنجد أدقّ تعريف للتّأويل ما قاله صاحب المفردات إذ جعل التّأويل قائما على الإرجاع والانتهاء، فتأويل الكلام عاقبته وما ينتهي إليه، أي إرجاعه إلى أصله الذي يحمّل عليه وينتهي إليه، وردّه إلى حقيقته العلميّة أو إلى حقيقته الفعليّة كما هي الواقع، فيقول: " رد الشّيء إلى الغايّة المرادة منه علما كان أو فعلا "[15].

وبالإضافة إلى معنى الرّجوع والانتهاء، نجد للتّأويل معنيين آخرين عند السّلف يقترب أحدهما من التّفسير، فقد قال ابن تيميّة (ت728هـ) في معرض حديثه عن مفهوم التّأويل هو: " تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التّأويل والتّفسير عند هؤلاء متقاربا أو مترادفا"[16].

فتأويل الكلام هو العلم بمعناه وهو كالشّرح والتّفسير، ويظهر من هذا القول أنّه قد جعل التّفسير والتّأويل مصطلحا واحدا، رغم اجتهاد بعض العلماء في إبراز الاختلاف بين مصطلح التّفسير ومصطلح التّأويل، ولعلّ السّبب في هذا هو استعمال الأصوليين لهما استعمالا يختلف مع استعمال المتكلّمين، فمن الأصوليين ابن قيم الجوزيّة (ت751هـ) الذي يرى أنّ التّأويل في اللّغة هو "تفسير ما يؤول إليه الشّيء"[17]، أمّا في الاصطلاح فنجده يوافق مفهوم السّلف عندما جعلته مرادفا لمعنى التّفسير والبيان؛ حيث يقول: " أمّا التّأويل في اصطلاح أهل التّفسير والسّلف من أهل الفقه والحديث فمرادهم به معنى التّفسير والبيان"[18] وهذا المعنى عنده يرجع إلى " فهم المعنى وتحصيله في الذّهن"[19].

وإلى جانب هذا التّأويل الذي استحسنه ابن القيم، نجده رافضا لمفهوم التّأويل الذي شاع بين المتكلّمين، ومفاده أنّ التّأويل هو صرف اللّفظ عن ظاهره، وهذا النّوع شائع "في عرف المتأخّرين من أهل الأصول والفقه، ولهذا يقولون: التّأويل

على خلاف الأصل، والتّأويل يحتاج إلى دليل، وهذا التّأويل هو الذي صنّف في تسويغه وإبطاله...، وهو الذي حكى غير واحد إجماع السّلف على عدم القول به"[20].

ويتّضح من ذلك أنّ التّأويل عند ابن القيّم مردّه إلى أمرين: أحدهما حقيقة المعنى الذي يؤول إليه اللّفظ وينتهي إليه، وهي الحقيقة الخارجيّة، وثانيهما أنّه مقارب لمعنى التّفسير والبيان، أمّا ما قيل عن صرف اللّفظ عن ظاهره، فقد عدّه ابن القيم تأويلا فاسدا يحرّف مراد الآيات؛ ذلك أنّ حقيقة التّحريف عنده هو "تحريف المعاني بالتّأويلات الّتي لم يردها المتكلّم بها"[21].

ونرى أنّ التّفسير والتّأويل مصطلحان قد وردا في القرآن الكريم، ولا بدّ من وجود فروق بينهما من منطلق أنّه لا وجود للتّرادف في القرآن الكريم، فكل مصطلح فيه يحمل معنى في ذاته قد يقترب من مصطلح آخر لدرجة أنّ هذا التّقارب يوهم بالتّرادف فيتعذّر إدراك تلك الفروق، لذا نجد طائفة أخرى تخالف ذلك فترى "أنّ التّفسير يخالف التّأويل بالعموم والخصوص فقط، ويجعل التّفسير أعمّ مطلقا، وكأنّه يريد من التّأويل بيان مدلول اللّفظ بغير المتبادر منه لدليل، ويريد من التّفسير بيان مدلول اللّفظ مطلقا أعمّ من أن يكون بالمتبادر أو بغير المتبادر"[22]، فالتّفسير على ذلك أعمّ من التّأويل في بيان مدلول اللّفظ.

وهو الرّأي نفسه نجده عند الرّاغب الأصفهاني (ت502هـ) بدلالة قوله: " والتّفسير أعمّ من التّأويل"[23]، ويضيف شارحا ذلك بقوله: " وأكثر ما يستعمل التّفسير في الألفاظ، والتّأويل في المعاني...، والتّأويل يستعمل أكثره في الكتب الإلهيّة، والتّفسير يستعمل فيها وفي غيرها، والتّفسير يستعمل أكثره في مفردات الألفاظ، والتّأويل يستعمل أكثره في الجمل"[24].

ونجد الألوسي (ت1270هـ) قد أدلى بدلوه في قضيّة التّفريق بينها؛ حيث يقول: " قد تعارف من غير نكير أنّ التّأويل إشارة قدسيّة ومعارف سبحانيّة تنكشف من سجف العبارات للسّالكين، وتنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين والتّفسير غير ذلك"[25].

فقد اعتبر الألوسي أنّ التّفسير هو كشف المعاني القريبة الّتي تستخرج من الآيات عن طريق المدلولات اللّغويّة، في حين أنّ التّأويل هو كشف المعاني البعيدة الّتي تستنبط من الآيات عن طريق فهم وتدبّر تلك الإيحاءات والإشارات الموجودة فيها.

ويقترب من هذا التّفريق ما أورده الذّهبي في كتابه "التّفسير والمفسّرون" من جملة الفروق بينهما، نذكر منها رأيين، رأي قد جعل التّفسير هو الاقتصار على الاتّباع والسّماع والرّوايّة استنادا إلى ما جاء في المأثور في معاني الآيات، أمّا التّأويل فهو استنباط المعاني عن طريق الدّرايّة والتّدبّر[26]، ورأي أخر جعل التّفسير بيان معاني القرآن بالقطع والجزم، لوجود لديل يُعتمد عليه في ذلك، أمّا التّأويل فهو بيان معاني القرآن من باب الاحتمال وغلبة التّرجيح في غياب الدّليل الذي يُستند عليه لجزم بمعناه[27]، ويتّفق المفهوم الأخير للتّأويل مع ما ذكره صاحب التّعريفات، فقد قال: "التّأويل في الأصل التّرجيع"[28].

وما يستفاد من هذا التّفريق أنّه يختلف لكنه لا يتعارض فيما بينه، فمنطلق الاختلاف في التّفريق منطلق تنوّع لا تعارض أو تضاد.

وتأسيسا على ذلك فإنّ التّفسير هو بيان مراد المتكلّم، أو ما يتعلّق بالرّوايّة، أو بيان موضوع اللّفظ، وهو لا يخرج عن الشّرح والإيضاح والبيان، أمّا التّأويل فهو ترجيح أحد الاحتمالات اللّفظ دون الجزم لاستناده على الدّرايّة.

والمتدبّر في القرآن يقف على الدّلالات الآيات بتفسيرها أوّلا عن طريق ما جاء في روايّة السّابقين، كما يعتمد على استخراج دلالاتها، وبيان حقيقة مرادها وذلك عن طريق التّأويل وذلك من باب الاجتهاد، وعليه فإنّ فهم القرآن الكريم يعتمد أساسا على التّفسير كمرحلة قرائيّة أولى تمهّد لمرحلة قرائيّة ثانيّة تعتمد على تعقّل النصّ والفهم والاستنباط، هي مرحلة التّأويل.

ثانيا: بين التّأويل والهيرمينوطيقا: قبل الحديث عن علاقة التّأويل بالهيرمينوطيقا يجب بدايّة الوقوف على مصطلح الهيرمينوطيقا.

واشتقت كلمة (الهيرمينوطيقا) ذات الأصل اليونانيّ من الفعل (Hermeneuein)؛ ويعني (يُفسّر) و(يوضّح)، والاسم (Hermeneia) يعني (التّفسير) و(التّوضيح)، وقد اعتبرت آليّة من الآليات اللّغويّة المساعدة للوصول إلى حقيقة الأشياء، والفهم كنّتها[29]، كما قيل أنّها مشتقّة من هرمينيا harmonia الّتي تدلّ على التّأويل، كما يحمل معنى: التّرجمة من لغة إلى أخرى[30]، فهي "شكل من أشكال التّأويل، وصورة من صور الإفهام"[31].

وعليه فالمدلول اللّغوي اليونانيّ للهيرمينوطيقا يشير إلى التّفسير، والشّرح، والفهم، والتّرجمة، وهذه المعاني تعدّ شكلا من أشكال التّأويل، وهو المدلول نفسه الذي نجده في الدّراسات التّأويليّة العربيّة.

لقد أطلقت كلمة (الهيرمينوطيقا Herméneutique / Hermeneutics) في الفلسفات القديمة على الدّراسات اللاهوتيّة الّتي تعنى بتأويل النّصوص الدّينيّة بطريقة خياليّة ورمزيّة، تتجاوز معناها الحرفي، لتغوص في أغوار النّص المقدّس بحثا عن المعاني الحقيقيّة، لذا "تعدّ الهيرمينيوطيقا نظريّة تفسير الكتاب المقدّس"[32].

تعدّ الهيرمينوطيقا من أقدم الاتجاهات اهتماما بفن فهم النّصوص، وقد تميّزت بكونها فلسفيّة، لارتباطها في بدايتها بتفسير وتأويل النّصوص الدينيّة، ومدلولها من حيث هي فنّ الفهم أو علم تأويل النّصوص يشير إلى الشّرح والفهم والتّأويل، ورغم توسّعنا إلاّ أنّها احتفظت بذلك المدلول، فهي " تشير إلى نوع من العلم أو المجال المعرفيّ الذي يقوم على مجموعة من القواعد الّتي تحكم تفسير النّصوص"[33]، فالتّفسير يعني السّماح للحقيقة بأن تحدث أو تتكشّف من خلال التّحجّب والتّخفّي، والمفسّر يتيح للحقيقة أن تتكشّف على ذلك النّحو حينما يمارس عمليّة فهم الحقيقة"[34] ، وقد تطوّر مفهومها في العصر الحديث لتشمل العلوم الإنسانيّة تأتي النّصوص الأدبيّة في مقدّمتها.

وتجدر الإشارة أنّ مجال الهيرمينوطيقا اتّسع مع شليرماخر (ت1834م) الذي حوّل مسارها الدّراسيّ، فبعدما كانت مقتصرة على تفسير النّصوص الدّينيّة أصبحت تهتمّ بتفسير كلّ النّصوص، وقدّم شليرماخر وجها آخر لهيرمينوطيقا عرفت بـ: الهيرمينوطيقا الموضوعيّة القائمة على فهم الوسائط اللّغويّة الّتي يعتمدها المؤلّف للتّعبير عن فكره[35]، فمهمَّة الهيرمنوطيقا هي فهم النّص وحسن تفسيره.

تعدّ إسهامات المفكّر الألماني شليرماخر إسهاما عظيما في تأسيس الهيرمينوطيقا بوصفها نشاطا تفسيريّا قوامه الفهم، فالأسس الّتي وضعها في عمليّة الفهم فتحت الباب أمام نظريات أكثر شموليّة ظهرت بعده، ومن أبرزها ما جاء به الفيلسوف فيلهلم دلثاي(ت1911م)، والفيلسوف هيدغر (ت1976م)، وبول ريكور(ت2002م)، هذا الأخير الذي تحولت معه الهيرمينوطيقا إلى الهيرمينوطيقا علميّة تقوم على تفسير النّصوص وفق مناهج وقواعد تحكم التّأويل، والتّأويل عنده هو علم قواعد فك الشّفرات الخاصة بلغة الرموز، فيقول معرّفا التّأويل: " انتقال الفهم إلى فكّ الرّموز "[36]، إيمانا منه أنّ اللّغة في حقيقتها مجموعة من العلامات والرّموز يجب فكّ شفرتها، وذلك عن طريق التّأويل والفهم

لإرجاعه إلى مراده؛ أي ردّه إلى "معرفة المعنى الموضوعيّ للنّص الذي يريده المؤلف، وما على القارئ إلاّ أن يلتقط رموز النّص ويقوم بتأويلها، وهو من شأنه ما يحدث علاقة تجمع خطاب النّص(المؤلِّف) بخطاب التّأويل(القارئ)، فيحقّق النّص اكتماله داخل الذات المؤوِلة"[37].

وكأنّ القارئ في دراسته النّص سيقوم بعمليّة التّفكيك لترجمة ما جاء فيه من دلالات، لذلك نجد ريكور يعرّف التّأويل في موضع آخر فيقول: " التّأويل هو ترجمة دلالة سياق ثقافيّ إلى آخر حسب قاعدة معتدلة بتعادل المعنى"[38].

ومن هنا نجد أنّ التّأويل عند ريكور قد حمل معنى الفهم والتّرجمة القائمة على الشّرح والتّفسير، وهو مفهوم لا يختلف عن التّأويل عند العرب، كما نجده من خلال ما أقرّه أنّه لم يهتم بتنظيم التّأويل في خطوات واضحة المعالم، وإنّما تعامل معه بطريقة علميّة موضوعيّة قائمة على آليّة تفكيك شفرات النّص للوصول إلى حقيقته، ولكنّه قد فتح بابا لإرساء دعائم التّأويل جاءت مع البنيويين تنادي

بضرورة التّحرّر من دكتاتوريّة النّص (أي المؤلِّف) لتعطي القارئ الحقّ في التّأويل الذّاتيّ للنّص، وهكذا اهتمت بدور التّلقي الذي أصبح جزءا من عمليّة التّأويل الّتي عرفت فيما بعد بنظريّة التّلقّي.

ويمكن القول أنّ الهيرمينوطيقا أو فنّ التّأويل من منظور بعض الفلاسفة والمفكرين الذّين يعطون اهتماما خاصّا لمشكلات التّفسير والفهم والتّأويل ومن بينهم بول ريكور قد شكّل " نظريّة عمليات الفهم في علاقاتها مع تفسير النّصوص "[39]، باعتبار أنّ النّص هو الوسيط الوحيد الذي نفهم من خلاله أنفسنا، ويؤكّد مبرزا مهمّة الهيرمينوطيقا فيقول: "إنّ مهمّة الهيرمينوطيقا الأولى بعد أن تخلّصت من أولويّة

الذاتيّة هي البحث داخل النّص نفسه عن الديناميّة الدّاخليّة الكامنة وراء تبنيين العمل الأدبيّ، ومن جهة ثانيّة البحث عن قدرة هذا العمل على أن يقذف نفسه خارج ذاته ويولّد عالما يكون هو (موضوع النّص اللامحدود)، إنّ الديناميّة والانقذاف الخارجيّ يكونان ما أسميه عمل النّص، ومن مهمّة الهيرمينوطيقا أن تعيد تشييد هذا العمل المزدوج للنّص"[40].

وعليه فإنّ مفهوم الهيرمينوطيقا يحيل إلى تفسير النّصوص وفهمها فهما يعتمد أساسا على انتهاك حرمة النّص فيفتح باب الحوار حوله، إذ لا يمكن الوصول إلى فهم موضوعه والوصول إلى مراده دون عرض مجموعة من الإجابات كتأويلات تقوم على استراتيجيّة فكّ شفرة النّص وإعادة بنائه، وهو ما من شأنه أن يفتح النّص على عدّة قراءات تكون من منظور القارئ لا النّص، وكأنّ القارئ يتحرّر من قبضة النّص أي المؤلِّف.

الخاتمة: وختاما يمكن الوقوف على أهمّ النّتائج الّتي توصّلنا إليها من خلال هذه الدّراسة، نذكر أهمّها:

1- انحصرت الدّلالة اللّغويّة للتّفسير في الشّرح، والاستبانة، والتّوضيح، أمّا شرعا فهو علم يبحث في بيان الألفاظ من حيث معاني القرآن.

2- انحصر المدلول اللّغويّ للتّأويل في الشّرح، والرّجوع، وردّ الشّيء إلى أصله، وصرف اللّفظ بدليل، أمّا شرعا فهو علم يبحث في بيان المعاني البعيدة بالفهم والتّدبّر والاستنباط.

3- تبيّن أنّ تلك الآراء الّتي جاءت للتّفريق بين مصطلح التّفسير ومصطلح التّأويل عند المتقدّمين والمتأخّرين لا تختلف فيما بيننا؛ لأنّ منطلق تلك الآراء هو منطلق تنوّع لا تعارض أو تضاد.

4- اقترب مفهوم الهيرمينوطيقا من مفهوميْ التّفسير والتّأويل، فقد حملت الهيرمينوطيقا في المدلول اللّغوي اليوناني معنى التّفسير، والشّرح، والتّرجمة، والفهم، كما تعدّ شكلا من أشكال التّأويل، أمّا في الاصطلاح فهي تفسير النّصوص الدّينيّة، وهو المعنى ذاته يدلّ عليه مصطلح التّأويل عند العرب.

5- تبيّن أنّ منطلق الدّراسة التّأويليّة عند العرب هي منطلق دينيّ بحث؛ وذلك لفهم كلام الله تعالى ووصول إلى مراده، ونجد الهيرمينوطيقا تنطلق من المنطلق نفسه؛ حيث أنّها جاءت لتفسير النّصوص الدّينيّة.

6- توسّع مفهوم الهيرمينوطيقا ليشمل كلّ تفسير كلّ النّصوص بأنواعها، بعدما كان مقتصرا على شرح النّصوص الدينيّة فقط.

7- تبيّن أيضا أنّ الهيرمينوطيقا تعدّ اتّجاه من أهمّ الاتّجاهات لفهم النّصوص، أمّا التّفسير والفهم فهما أحد أهمّ المناهج الّتي تعتمد عليها الهيرمينوطيقا.

8- إنّ مهمّة الهيرمينوطيقا هي إزالة المعنى الزّائف وصولاً إلى المعنى الباطني الصّحيح، حيث تقوم على مفهوم فكّ شفرة النّص، على اعتبار أنّ النّص يحمل مجموعة علامات ورموز يجب فكّها أوّلا شرحا وتفسيرا للوصول إلى المعنى المراد.

9- نادت الهيرمينوطيقا الحديثة بضرورة التّخلّص من دكتاتوريّة النّص (أي المؤلِّف)، وهذا ما فتح المجال أمام القارئ لقراءة النّص بعدّة قراءات متجاوزا قراءة المؤلّف له.

10- يعدّ التّفسير مرحلة قرائيّة أوليّة تمهّد لمرحلة قرائيّة ثانيّة تعتمد على تعقّل النصّ والفهم والاستنباط، هي مرحلة التّأويل.

وتأسيا على ما سبق، يمكننا القول أنّ التّفسير والتّأويل والهيرمينوطيقا مصطلحات تحمل في طيّاتها خصوصيّة حسب مجال استعمالها، ولكّنها في الوقت ذاته تتقارب فيما بينها، لاستنادها أساسا على الشّرح والتّفسير والفهم والتّأويل، وهي أساسيّات يستند إليها عند دراسة النّصوص أ كانت شرعيّة أم أدبيّة.

فهرس المصادر والمراجع:

أ/ الكتب العربيّة:

1- الإتقان في علوم القرآن، السّيوطي جلال الدّين عبد الرّحمن، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسّسة الرّسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ/2008م.

2- الإكليل في المتشابه والتّأويل، ابن تيميّة تقيّ الدّين أحمد، تع: محمّد الشّيمي شحاته، دار الإيمان للطّباعة والتّوزيع، اسكندريّة، مصر، (د.ت).

3- البرهان في علوم القرآن، الزّركشي بدر الدّين محمّد بن عبد الله، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار أحياء الكتب العربيّة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، سوريا، ط1، 1376هـ/1957م.

4- التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور محمّد بن محمّد، تح: عدنان درويش ومحمّد المصري، مؤسّسة التّاريخ العربيّ، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/2000م.

5- التّسهيل لعلوم التّنزيل، ابن الجزري أبو القاسم محمّد بن أحمد، ضب وتص: محمّد سالم هاشم، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ/1995م، (1/ 9-10).

6- التّعريفات، الشّريف الجرجاني عليّ بن محمّد، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ.

7- التّفسير والمفسّرون، الذهبي محمّد حسين، مكتبة وهبه، القاهرة، مصر، (د.ت).

8- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، الآلوسي شهاب الدّين أبو الفضل محمود، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان، (د.ت).

9- الصواعق المرسلة على الجهميّة والمعطِّلة، ابن القيم الجوزيّة أبو عبد الله شمي الدّين، تح: عليّ بن محمّد الرخيل الله، دار العاصمة، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، (د.ت).

10- فهم الفهم (مدخل إلى الهرمنيوطيقا) نظريّة التّأويل من أفلاطون إلى غادامير، عادل مصطفى، رؤيّة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، 2007م.

11- في ماهيّة اللّغة وفلسفة التّأويل، سعيد توفيق، مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1423ه/2002م.

12- الكليات، أبو البقاء الكفومي أيّوب بن موسى، تح: عدنان درويش ومحمّد المصري، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1419ه/1998م.

13- لسان العرب، ابن منظور محمّد بن مكرم الإفريقي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، (د.ت).

14- مختار الصحاح، الرازي محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1415ه/1995م.

15- المفردات في غريب القرآن ، الرّاغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمّد، تح: محمّد سيّد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، (د.ت).

16- مقاييس اللّغة، ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريا، تح: عبد السّلام محمّد هارون، اتّحاد الكتّاب العرب، بيروت، لبنان، ط1، (1423ه/2002م).

17- مقدّمة جامع التّفاسير، الرّاغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمّد، تح: أحمد حسن فرحات، دار الدّعوة، الكويت، ط1، 1405ه/1984م.

18- من النّص إلى الفعل (أبحاث في التّأويل)، بول ريكور، تر: محمّد برادة وحسّان بورقيّة، الدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، القاهرة، مصر، ط1، 2001م.

ب/ الكتب الأجنبيّة:

1- De l'interprétation (Essai sur FREUD), Paul RECOUR ,Edition SEUIL , Paris.

2- lecture 2, Paul RECOUR, Edition SEUIL, Paris.

الإحالات:

[1]- الإتقان في علوم القرآن، السّيوطي جلال الدّين عبد الرّحمن، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسّسة الرّسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ/2008م، (2/ 460).

[2]- لسان العرب، ابن منظور محمّد بن مكرم الإفريقي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، (د.ت)، (55/5). (مادّة: ف س ر). وكذا ينظر: مختار الصحاح، الرازي محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995م، (ص:517)، (مادّة: ف س ر).

[3]- المفردات في غريب القرآن ، الرّاغب الأصفهاني أبو القاسم حسين بن محمّد، تح: محمّد سيّد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، (د.ت)، (ص:380). (مادّة: ف س ر).

[4]- مقاييس اللّغة ، ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريا، تح: عبد السّلام محمّد هارون، اتّحاد الكتّاب العرب، بيروت، لبنان، ط1، (1423هـ/2002م)، (402/4). (مادّة: ف س ر).

[5]- لسان العرب، ابن منظور، (55/5). (مادّة: ف س ر).

[6]- مقاييس اللّغة ، ابن فارس، (62/3). (مادّة: س ف ر).

[7]– البرهان في علوم القرآن، الزّركشي بدر الدّين محمّد بن عبد الله، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار أحياء الكتب العربيّة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، سوريا، ط1، 1376هـ/1957م، (13/1).

[8]– البرهان في علوم القرآن، الزّركشي، (8/1).

[9]– الكليات، أبو البقاء الكفومي أيّوب بن موسى، تح: عدنان درويش ومحمّد المصري، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/1998م، (ص: 392).

[10]– التّسهيل لعلوم التّنزيل، ابن الجزري أبو القاسم محمّد بن أحمد، ضب وتص: محمّد سالم هاشم، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ/1995م، (1/ 9–10).

[11]– التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور محمّد بن محمّد، تح: عدنان درويش ومحمّد المصري، مؤسّسة التّاريخ العربيّ، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/2000م، (1/ 10).

[12]– مقاييس اللّغة، ابن فارس، (1/ 158). (مادّة: أ و ل).

[13]– مختار الصحاح، أبو بكر الرّازي، (ص: 20). (مادّة: أ و ل).

[14]– لسان العرب، ابن منظور، (11/ 32). (مادّة: أ و ل).

[15]– مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (ص: 31). (مادّة: أ و ل).

[16]– الإكليل في المتشابه والتّأويل، ابن تيميّة تقيّ الدّين أحمد، تع: محمّد الشّيمي شحاته، دار الإيمان للطّباعة والتّوزيع، اسكندريّة، مصر، (د.ت)، (ص:28).

[17]– الصواعق المرسلة على الجهميّة والمعطِّلة، ابن القيم الجوزيّة أبو عبد الله شمي الدّين، تح: عليّ بن محمّد الرخيل الله، دار العاصمة، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، (د.ت)، (175/1).

[18]– المصدر نفسه، (178/1).

[19]– المصدر نفسه، (178/1).

[20]– المصدر نفسه، (178/1–180).

[21]– أعلام الموقعين عن ربّ العالمين، ابن القيم الجوزيّة أبو عبد الله شمي الدّين، تح: طه عبد الرّؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1973م، (250/4).

[22]– مناهل العرفان في علوم القرآن، الزّرقاني محمّد عبد العظيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، دمشق، سوريا، (د.ت)، (5/2).

[23]- مقدّمة جامع التّفاسير، الرّاغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمّد، تح: أحمد حسن فرحات، دار الدّعوة، الكويت، ط1، 1405هـ/1984م، (ص:47).

[24]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[25]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، الآلوسي شهاب الدّين أبو الفضل محمود، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان، (د.ت)، (5/1).

[26]- ينظر: التّفسير والمفسّرون، الذهبي محمّد حسين، مكتبة وهبه، القاهرة، مصر، (د.ت)، (17/1).

[27]- ينظر: المصدر نفسه، (17/1)

[28]- التّعريفات، الشّريف الجرجاني عليّ بن محمّد، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ، (ص:72).

[29]- ينظر: فهم الفهم (مدخل إلى الهرمنيوطيقا) نظريّة التّأويل من أفلاطون إلى غادامير، عادل مصطفى، رؤيّة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، 2007م، (ص:24).

[30]- ينظر: المرجع نفسه، (ص:35).

[31]- المرجع نفسه، (ص:54).

[32]- ينظر: المرجع نفسه، (ص:24)، و(ص:68).

[33]- في ماهيّة اللّغة وفلسفة التّأويل، سعيد توفيق، مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ/2002م، (ص:84).

[34]- ينظر: المرجع نفسه، (ص:89).

[35]- ينظر: المرجع نفسه، (ص:87).

[36]- De l'interprétation (Essai sur FREUD), Paul RECOUR ,Edition SEUIL, Paris, (P:19)

[37]- ينظر: ظاهريات التّأويل قراءة في دلالات المعنى عند بول ريكور، محمّد هاشم عبد الله، مجلة التّسامح، سلطنة عمان، 2005م، (ص:118).

[38]- lecture 2, Paul RECOUR, Edition SEUIL, Paris, (P:453)

[39]- من النّص إلى الفعل (أبحاث في التّأويل)، بول ريكور، تر: محمّد برادة وحسّان بورقيّة، الدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، القاهرة، مصر، ط1، 2001م، (ص:58).

[40]- المصدر نفسه، (ص:25).